

عشائر العراق حسان طروادة لعودة الاحتلال الأميركي والتقسيم؟

■ **حميدي العبدالله**

يرفض بعض زُعماء العشائر في غرب العراق، وكذلك بعض الأحزاب العاملة في المنطقة التي شاركت في العملية السياسية منذ اليوم الأول للاحتلال الأميركي– الغربي للعراق، ترفض هذه الأطراف جميعها الاستعانة بقوات الحشد الشعبي للقضاء على تنظيم «داعش»، وتوجه الاقتادات إلى الحكومة العراقية لأنها لا تقدّم لها الدعم الكافي للقضاء على «داعش» واستعادة المناطق التي سيطرت عليها.

في قدون إحجام الحكومة العراقية عن تقديم الدعم السخي للعشائر المنتشرة في غرب العراق ميّزراً، وهو الخشية من سقوط هذا الدعم بيد «داعش» التي تتمتع ببيئة حاضنة تختلف عن مناطق العراق الأخرى، أو قد لا يكون ميّزراً. لكن الأمر الخطير هو أنّ هذا الموقف يشكل ذريعة لاستقدام قوات أميركية إلى غرب العراق، بحجة أنّ سكان المنطقة يتقنون بالغات الأميركية أكثر من ثقّتهم بقوات الحشد الشعبي، وعلى الرغم من أنّ مثل هذا السلوك ينطوي على تحول خطير في مقاربة الأوضاع في العراق، حيث يصبح المحلل الأميركي الذي عانى منه سكان غرب العراق أكثر من أيّ منطقة أخرى مخلصاً، في حين أبناء الشعب العراقي من المناطق الأخرى يحزّم عليهم تقديم العون إلى أشقائهم لاستعادة مدنهم من سيطرة «داعش» وحلفائها، فإنّ الأخطر من ذلك ما سيترتب على مثل هذا السلوك، لجهة إعادة الاحتلال الأميركي إلى جزء كبير من العراق، وهو محافظة الأنبار التي تشغل مساحة تصل إلى 150 ألف كيلومتر مربع، فضلا عن أنّ هذه العملية سوف تقود إلى تكريس تقسيم العراق.

لكن هل يستطيع التعاون بين الأميركيين وعشائر غرب العراق، أو بعض هذه العشائر، القضاء على «داعش»؟

تجربة الاحتلال الأميركي للعراق ما بين 2003 و2011 تؤكد عكس ذلك، إذ إنّ تنظيمات «القاعدة» وتدهر حين يكون هناك وجود للاحتلال الأميركي، فقيل أنّ تحلّ الولايات المتحدة وشركاؤها الغربيون العراق عام 2003 لم يكن هناك أي وجود لتنظيم «القاعدة»، وهذا التنظيم جاء إلى العراق، واكتسب الخبرة، وجدّد الألقاب في ظل وجود الاحتلال الأميركي، وليس بعد رحيل القوات الأميركية عن العراق.

كما أنّ تجارب دول المنطقة تؤكد هذه الحقيقة، ففي اليمن لم يفد وجود المستشارين الأميركيين، ولا الضربات الجوية بطائرات من دون طيار أو يقودها طيار للقضاء على تنظيمات «القاعدة»، بل إنّ نفوذ هذه التنظيمات توسّع جراء الاستعانة بالقوات الأميركية. فالرمان من قبل بعض العراقيين الأميركيين من جديد يمثل خطرا على وحدة العراق وعودة احتلال جزء منه، بل وأيضا لا يقيد إخليص المناطق التي سوف تنتشر فيها القوات الأميركية من بطش «داعش»، وسيشكل وجود هذه القوات ذريعة لإفناء سكان هذه المناطق بوجود قضية لدى هذا التنظيم الإرهابي، كما سوف يشكل ميّزراً لسلوكه الإجرامي في مواجهة سكان هذه المنطقة، أو بعضهم بتهمة التعامل مع العدو المحتل.

لـ«النصرة» قوات جوية ولـ«الائتلاف»

سفارات وحكومة ووزارات في «تل أبيب»

■ **سعد الله الخليل**

لم يعد التنسيق الأمني والاستخباري بين المجموعات الإرهابية بفصائلها المختلفة من «جيش حر» و«نصرة» ومقرّعاتها والعدو «الإسرائيلي» بالخافي على أيّ من المتابعين للشان السوري، ولعلّ التصريحات العلنية للمسؤولين والزيارات الميدانية لجرحي تلك المجموعات تكشف جانبا من هذا التنسيق الميداني، ولا يقل عنه أهمية التنسيق السياسي، والذي لا تخفيه الأطراف «الإسرائيلية».

حين يقول الرئيس بشار الأسد إنّ «القاعدة» لديها قوى جوية هي القوات الجوية «الإسرائيلية» لا يظلم من موقف سياسي، بل من وقائع اثبتتها الغارات «الإسرائيلية»

على المواقع السورية والمستفيد الوحيد منها تلك الجماعات.

ففي الثلاثين من كانون الثاني 2013 استهدفت طائرات العدو «الإسرائيلي» مجمع الأبحاث العلمية في جمرانيا، في أول دخول مباشر للطائرات الحربية «الإسرائيلية» المجال الجوي السوري منذ بدء الأزمة، حيث سبق الاستهداف محاولات عديدة فاشلة من قبل المجموعات الإرهابية للاستيلاء على الموقع المذكور. وفي الخامس من أيار من العام ذاته عاود الكيان الصهيوني ضرب الهدف ذاته إضافة إلى مواقع عسكرية سورية واستهدفت «لـ14»، وهي وحدة للدفاع الجوي في الصوغة، بما يكسّف بما لا يدع مجالاً للشك حجم الارتباط العضوي بين مكثّرات الحرب في سورية، وما تلا الغارة من هجوم على مواقع للجيش بعد دقائق قليلة من قبل المعارضة ما يدل على أنها كانت في الانتظار لهذا حدث.

الغارة «الإسرائيلية» الأخيرة على القنيطرة تكشف عمق التواصل الاستخباري بين «النصرة» والعدو «الإسرائيلي» من حيث التنسيق والتعاون.

ولعل ما أعلنه وزير حرب العدو موشيه هارون عن المساعدة جيش الاحتلال لمسلي «المعارضة السورية» في الجولان، حين وصف «جبهة النصرة» به«التيار الأكثري اعتدالا في تنظيم القاعدة» وبأنها حليف موثوق.

إذا... هذه هي المعاملة في الشق العسكري ربما لم تسمح قيادات ائتلاف المعارضة تلك المعادلة، خاصة من بل يفهم سبب إدراج أميركا لجبهة النصرة» على لأحثة الإرهاب بحسب تعبير معاذ الخليل الرئيس السابق لائتلاف الدوحة في حديثه إلى شبكة «سي أن أن»، ولم يكن كلام نائبه جورج صبرا أقلّ شأنا حين استغرب إدراج الولايات المتحدة «جبهة النصرة» على لأحثة الإرهاب واعتبرها جزءاً من «الثورة».

سياسيا التنسيق لم يعد سراََ حتى إنّ كلّ اجتماعات «المعارضة» التي يحضرها السفراء الأجانب يكون السفير «الإسرائيلي» في الكرئيس عدا عن التواصل المباشر مع قوات صهيونية من اجتماعات مع قادة صهاينة بعيدا عن الأضواء إلى لقاءات إعلامية على قنوات «إسرائيلية» حتى لو اضطر الأمر لقطع مسافة خمس ساعات من فرنسا إلى بروكسل ليجري عبد الحليم خدام مقابلة مع القنّاة «الإسرائيلية»، يطرح خلالها ما يحضّر لسورية من مشاريع تبدأ من إسقاط النظام لنتتهي بعقد اتفاق سلام مع «إسرائيل». وقت خدام الذي سخره لخدمة «العدو الصديق» لم يسعف برهانا غليون الذي اعتذر من مرئاسة القنّاة العاشرة في التلفزيون «الإسرائيلي» إلى إيمانويل لباز. عن إجراء لقاء لضيق الوقت والمواعيد تاركا الباب مفتوحا للقاء يحدّد هو موعده.

بسمّة قضماني التي فاخرت بحبها لكيان العدو كرّزت أكثر من مرة القول على مسامع اليهود: «أنّ أرتاح أكثر وأحترم عندما اتكلم مع شخص إسرائيلي، وبالطبع نحن بحاجة لإسرائيل دائماً، حين حضرت معرض للكتاب في فرنسا مخصص للكتاب «الإسرائيلييين فقط».

على الأرض وفي الفضاء وفي العسكر والسياسة تنسيق وثيق وعلاقات صداقة بين معارضين سوريين و«إسرائيل» تمنح «النصرة» قوات جوية وبرية وائتلاف المعارض سفارات وحكومة ووزارات في «تل أبيب».

«توب نيوز»

الأسد و«إسرائيل» و«القاعدة»

في الماضي كان التخيل بعدما هزت أحداث الحادي عشر من أيلول الأمن الأميركي أنّ «القاعدة» هي العدو رقم واحد لميركا، وأنّ «إسرائيل» هي حليفها الأول، وأنّ من تناصبه «القاعدة» العدو يفترض اتهامه بالانتماء إلى «إسرائيل» يقاس الحال الأميركية. تغذّت «إسرائيل» و«القاعدة» من هذه المعادلة لعقد من الزمن، فكسبت «إسرائيل» صورة عدوٍ «القاعدة» من دون أن يقع بينهما اشتياك واحد، وكسبت «القاعدة» صورة عدوٍ لـ«إسرائيل» من دون أن تخلق على جيشها طلقة واحدة. وحده الرئيس السوري كفل بكشف القناع عن علاقة التحالف العميق بين «إسرائيل» و«القاعدة» عندما تجاوزت الغارات الجوية «الإسرائيلية» مع هجمات «القاعدة» على الجيش السوري.

تواصل كشف القناع عندما صارت «القاعدة» في جبهة الجولان تحت الحماية سقط القناع يوم قال وزير حرب العدو إنّ «القاعدة» بمسّميّ فرعها السوري «جبهة النصرة» حليف موثوق.

يكمل الأسد معادلتها في حوار مهمّ مجلة للنخبة الأميركية «فورين أقرن» فيقول إنّ لدى «القاعدة» سلاح جو هو سلاح الجو «الإسرائيلي».

قوات «إسرائيل» البرية هي قوات «داعش» و«النصرة».

هذا تحالف «القاعدة» و«إسرائيل».

التعليق السياسي

البناء

مستقبل الاتفاق النووي بين الغرب والجمهورية الإسلامية

■ **زياد حافظ***

كان تهديد الرئيس الأميركي بباراك أوباما باستعمال حقّ النقض، إذا ما أقرّ الكونغرس الأميركي المزيد من العقوبات على إيران، نقطة فاصلةً في خطابه في «حال الاتحاد». وعلى ما يبدو، فإنّ الأولوية هي السياسة الخارجية للإدارة الحالية هي تحقيق الاتفاق؛ علماً أنّ هناك من يعارض ذلك، بشدّة، داخل أروقة الحكم.

وبالفعل لم تمض أربع وعشرون ساعة، حتى بدأت الاشتباكات بين محاور الحكم الأميركي المكوّنة من السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية. فسارع رئيس مجلس العملمن «الناطق» جون بوينر إلى الإعلان عن دعوة رئيس وزراة إيران، وأعطى، من جهة أخرى، بعض المعلومات عن قدوم أحد كبار المسؤولين في جهاز الاستخبارات الصهيونية للبحث في الملف النووي الإيراني، في مرحلة سابقة.

أكد بوينر، خلال مؤتمر صحافي، أنه لم يستشر البيت الأبيض وأنّ الهدف من تلك الدعوة هو تسليط الأضواء على الأخطاء الحقيقية المتمثلة بالاسلام المتحجر في الجمهورية الإسلامية في إيران، على حدّ قوله، فعلى ما يبدو، أصبح رئيس وزراء كيان العدو من الخبراء في الإسلام والخطر الإسلامي! والمعلومة، فإن تحققت تلك الدعوة يصبح نتيجاهو ينافس ونستون شرشل المسؤول الأجنبي الوحيد الذي خطب في الكونغرس ثلاث مرّات! جاءت ردة فعل الإدارة الأميركية على مرحلتين: ففي المرحلة الأولى سارعت الإدارة إلى شجب طريقة الدعوة التي لم يكن لها أي رأي فيها وهي المخالفة للأصول البروتوكولية، الأمر الذي أكده بوينر، أي تجاوز تلك الأصول. كما أنّ توقيت تلك الدعوة، بدا وكأنه تاييد لنتيجاهو في معركته الانتخابية وهذا ما لا

عندما تلبس الوقائع... تتأكد الحقائق

■ **شهناز صبحي فاكوش**

خرج الشعب المصري في 25 كانون الثاني قبل أربع سنوات ضمن الربيع العربي، لم يكن أي ظهوٍر «الإخوان المسلمين»، على أنّ القوى الثورية هي صاحبة المشهد، هذا ما كان بابدا، يومها اختلفت مع أحد الأصقاء حول الجوه الإخواني الذي كنت متأكدة أنه ينتظر أنّ تنجلي الأمور، ليمتطي الساحة ويسيطر على الحكم بطريقةٍ ما ويدعم أميركي.

وكان ما كان إلى أنّ قصّم ظهر الجماعة بعد فشلها الذريع. وتبيّد أنهارها في السيطرة على كامل الساحات العربية، عندما ظهر مرسي رافعاً علم تقسيم سورية. التباس المشهد بين قوى ثورية وإخوانية أكد حقيقة المؤامرة الأميركية الداعمة لـ«الإخوان».

اليوم يعود «الإخوان» لإثبات العبء، في مواجهة المواطنين المصريين ورفع السلاح إلى صدورهم. والعمل على تفجير أماكن حساسة ومواقع خدمية. كما كانت البدايات في سورية. في مصر يحقّرون بدور الجيش في التصدي ويكفرون في سورية. إقترام سعودي وأميركي. التباس يؤكّد حقيقة المؤامرة الكونية ضد سورية.

أميركا تتذّاق في المواقف السياسية، تعلن رسمياً أنها ترسل منّة جندي أميركي لتدريب 5000 من «المعارضة المعتدلة»، لمواجهة النظام السوري وإسقاطه. اما قفاهم فشل منه ألف مقاتل من أكثر من ثمانين دولة مديرين في سجون بلادهم؟

التباس في وقائع السعي إلى زعزعة الشعب السوري وقيادته وجيشه، جهد أميركي غربي استعماري، وعمالة عثوائيات الخبيث، حلل تركي متبؤر. ودعم عسكري ولوجستي لإرهابيين، تسخر لتثبيت حقيقة الحرص في الحفاظ على أمن «إسرائيل». مات الملك السعودي ولم يعلن عن ذلك رسمياً إلا بعد أيام، حتى خلّت خلافات الأسرة الحاكمة ظاهرياً برعاية أميركية، خشيّة تصدّع المنظومة الخليجية، باهتزاز هيمنة خلافتها ما يحضّر لسورية من مشاريع تبدأ من إسقاط النظام لنتتهي بعقد اتفاق سلام مع «إسرائيل». وقد خدام الذي سخره لخدمة «العدو الصديق» لم يسعف برهانا غليون الذي اعتذر من مرئاسة القنّاة العاشرة في التلفزيون «الإسرائيلي» إلى إيمانويل لباز. عن إجراء لقاء لضيق الوقت والمواعيد تاركا الباب مفتوحا للقاء يحدّد هو موعده.

قراءة تحليلية لـ«عملية القنيطرة»

■ **علوان نعيم أمين الدين***

عنوان قد يعكس حقيقة لم تتعمّق في سير اغوارها. فاعتبار العمل «عدواناً» سنترتّب عليه آثار كثيرة تقلل من قيمة الصراع الفعلي الموجود. لذلك، يجب وضع بعض المعايير لتحديد التوصيف الصحيح والدقيق لما يجري، وأهمّها؛

1. المعيار الأول: إذا اعتبرت العملية «عدواناً»، فاعتبرت في صدق الاعتراف بالحدود القائمة من حيث الاعتبار أنّ الضربة وقعت من الإقليم البري السوري (إذا ما اعتبرنا أنه عدوان على إيران ولبنان أيضاً لوجود مواطنين تابعين لهاتين الدولتين) من قبل دولة أخرى. فإذا، سيتمّ حصر الصراع ضمن الإقليم التي أقامتها سايكس – بيكو فقط. فإذا ما التزمت هذه الدول أو الكيانات أو المقاومة بتلك الحدود، تكون أمام عدوان يصحّبه المتداول والمُتعارف عليه، وأكثر ما يمكن تصعيته تحصيل المعنيين مسؤولية هذه العملية ومطالبة «إسرائيل» بمحاسبتهم ورفض التحويضات (مشهد سوريا ليطعا). ومع التزام الدول والمقاومة بتلك الحدود، سيكون الجميع بمأمن من أيّ خطر طالما لم يتمّ تجاوزها أو خرقتها؛

2. المعيار الثاني: إذا ما اعتبر أنّ «إسرائيل»

ترتيد الإدارة، لا من الناحية البروتوكولية ولا من الناحية السياسية؛
أتى ذلك الشجب من الإدارة، إلى طلب نتيجاهو نتائج الدعوة التي كانت مقرّرة خلال أسبوعين إلى شهر آذار، وذلك بحجة حضوره أعمال مؤتمر «ألبياك» الصهيوني، وكأنه يقول للأميركيين: «لن أتّي إلى الولايات المتحدة مرتين خلال شهرين».

المهم هنا هو أنّ رئيس وزراء العديسحضر إلى الولايات المتحدة، فكان أنّ صدور البيت الأبيض بياناً أكد فيه أنه لن يكون لقاء بين الرئيس الأميركي ونتيجاهو! في المرحلة الثانية، دخل على الخط وزير الخارجية الأميركي جون كيري حيث أعلن، من جهة، أنّ نتيجاهو يستطع المجيء إلى الولايات المتحدة، وأعطى، من جهة أخرى، بعض المعلومات عن قدوم أحد كبار المسؤولين في جهاز الاستخبارات الصهيونية للبحث في الملف النووي الإيراني، في مرحلة سابقة.

اعتبر المسؤول الاستخباراتي الصهيوني الرفيع المستوى أنّ المزيد من العقوبات على إيران سيشكل قبيلة بدوية في آلبه التفاوض وقد يجهبضها. وقد سرق إعلان كيري عن هذه الزيارة والتصريح الصهيوني الريعق من جون بوينر حيث حوّل الموضوع إلى مناقشة المفاوضات في الملف النووي الإيراني. وتفيد مصادر مطلعة لموقع «الهنغتون بوست» الواسع النطاق بين الجمهوريين أصبحوا في طليعة المعارضين للاتفاق مع إيران ومعهم بعض الديمقراطيين. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، أفادت تلك المصادر أنّ كلام المسؤول الاستخباراتي الصهيوني فهم وكأنّ المساد لم يبريد إجهاش الاتفاق، ما أخرج معارضيه. وسرعان ما صدر يوم الخميس في 22 كانون الثاني الجاري بيان عن رئيس جهاز الموساد تامير باردو يؤكّد زيارته الولايات المتحدة مع وفد استخباراتي صهيوني،

ذات مشروعية، لقاء تشاوري يمهد لحوار سوري داخل الوطن سورية.

روسية راعية اللقاء وأميركا تشجع، ومن لاذ بالقاهرة نجيب أو يحضر، لن يفخر من موقف الخارجية المصرية، بتشجيع الذهاب إلى موسكو، في النهاية الأمر يحضّر سورية والسوريين. من موسكو: من يتخلّف لانصيب له في الحياة السياسية مستقبلاً.

وقائع تحبّت حقيقة أنّ المعارضة هشّة مشرذمة، منها صديقة لـ«إسرائيل» ومرتهنة لها. ومنها موظفة لدى جهات حاقدة. جميعها تحلم بالسلطة. لتغيير الفكر العقائدي، والنظام السياسي، والبنية الثقافية، خدمة لكيان الصهيوني لتصبح «إسرائيل صديقة لسورية».

الغفارة «الإسرائيلية» الأخبيرة على القنيطرة، عملية ضرب لمحور المقاومة. الذي أصبحت الأرض مفتوحة في مواجهته من سورية ولبنان.

عملية هدفةا دعم «جبهة النصرة» التي نتخذّ من الجولان ملاذاً لها بحماية صهيونية علنية، أمام ضربات الجيش العربي السوري. في تأكيد أنها تملك سلاح الجو «الإسرائيلي» أصالة لا بالوكالة. هذا ما أكده الرئيس بشار الأسد.

وقائع تثبت حقيقة أنّ الإرهاب الذي يستهدف سورية، مخطط صهيوني أميركي، وأنّ «النصرة» وأخواتها بما فيها «داعش»، أدوات مع الأسف بعضها محلي.

صنّعتها الاستخبارات الصهيونية بالتنسيق مع السعودية وبدعم أميركي شامل وباحتضان تركي.

شمل واقعة لا بد تؤكّد حقيقةً، والتباس الواقع بين هذه الأمثلة

من مجال إنكثار ضلوع العدو الصهيوني في ما يحدث في سورية. وأنّ أميركا تغدّف ماريها في المنطقة بالساليب لا تحسّر بها جندوها ومقدراتها مجاناً.

من حق الشعوب الدفاع عن نفسها وأرضها بكل الوسائل المتاحة. وهذا حق مكتسب للسوريين ومحور المقاومة في الزمان والمكان المتناسبين دون فرض من أحد.

فاشيه يأتي من فراغ ولاخدان بلا ناز... هكذا هي الحياة.

أراء

هوية... برسم البيع!

■ **د. سلوى خليل الأمين**

فاجأنتي بالقول: سأطرح هويتي في المزاد العلني، لأنني مللت هذه البلاد ومن عليها، وعندما رأت علامات الاستغراب ترتسم على وجهي قالت: قبل أن تخفييني بجوايك المعترض المحشو بالوطنية، سأشرحك لك وجهة نظري ولك بعدها حرية الاعتراض!

خلقت في هذه الألفية، وكان عليّ أن أذهب إلى المدرسة التي تدرّجت في معالج العمر، وكان عليّ أن أذهب إلى المدرسة التي تمّ اختيارها لي، وحتم عليّ أن أدرس المنهاج المقرّر، بغضّ النظر عن قرفتي من بعض مواده، وحين وصلت إلى عمر البغاف، كان عليّ أن أقبل البارز الذي اختاره الأهل لي، حيث لا اعتراض على قرار العائلة، وغير مسموح للشكوى، حتى لو دبتّ المطالم في جنبنا؛ البيت الزوجي، إلى جانب هذا، كان عليّ أن ألقى طموحاتي جانباً، فالأولاد زينة الحياة الدنيا وعليّ الإنجاب، وبسرعة، وإلا فالمشكلة شاقّة، ولا يحلها سوى الطبّ والحقايق، تصوّري ابنة ال17المطلوب منها الحمل والولادة، وعدم الاعتراض أيضاً.

لهذا تعودت الخضوع والسير على النقاط المرسومة، إلى حين استوى العمر ونضج، فتغيّرت منذئذ المعادلات، فحريتي اليوم ملكي وهويتي ملكي، أبيعها لمن أشاء، واحفظ بها ساعة أشاء حين بدت يتحسّس مشاكل الوطن لم أشعر أنها غريبة عني، فما درسته في كتب التاريخ أثار حفيظتي، كنت أسأل نفسي دائماً: لماذا يُسَمّى بالعلم الحزّ والديمقراطي بتشريد شعب من أرضه، ومنحها ظلماً وعدواناً للعدو الصهيوني؟ لماذا قتلوا الإمام الحسين بن علي وهو حفيد رسول المسلمين وقرة عينه؟ ولماذا صلبوا السيد المسيح عيسى بن مريم قبله؟ كل هذه الأسئلة سكنت عقلي وتفكيرتي، ولم أجد لها جواباً، بعدها بدأت الثورات العربية ضدّ المستعمر التركي بالملاطفة التي أورتثنا سياسة فرّق تشدّد، وما زلنا إلى تاريخه نعانى من نتائجها الملتبسة.

هنا لاح في الأفق فجر الأحزاب الوطنية والقومية العلمانية، تبعتها وأمنت ببايديولوجيتها القائمة على احترام حرية الفرد في حياته ومعتقد، حيث لا إكراه في الدين، وحيث الدين لله والوطن للجميع، فجة اغتيال أنظون سعاذه لأنه رفض خزعبلات رجال السياسة، وحكام مرحلة ما بعد الاستقلال المغلفة بتوجهات المستعمر نفسه، وباتت الأحزاب اليسارية من شيوعية وبعثية وقوميين عرب وقوميين سوريين محاصرين وملاحقين، فالقانون يحزّم الانتماء إلى الأحزاب، وبالتالي ممنوع المجاهرة بانك منتم إلى حزب يساري... أيأ كان هذا الحزب...

استمرّ الوطن ضعيفاً، فقد وصفه الجميع بالقول: قوة لبنان في ضعفه، لهذا كان العدو الصهيوني يجتاح الجنوب وصولاً إلى العاصمة بيروت، وحتى مدينة بعيدا حين القصر الرئاسي، حين الكّل بنادي بيولوج والثبؤر وعظام الأصور.. لا الجيش اللبناني المولج بالدفاع عن الوطن طريّ العود، لا يملك السلاح المضادّ للدفاع عن الأرض والعرض والسيادة والكرامات، وحين الزمعا كل يغني في كل ليلاه، فهذا منتم للشرق وذاك للغرب، أما الانتماء لوطن فكلأم على اللواء.

في ظل هذا التراخي الواضح والضعف المعلن كان لا بدّ من تعدّد البديقة الفلسطينية، التي أخذت مداها في السيطرة على لبنان، وعلى بعض زعامات، الذين اعتبروا البديقة الفلسطينية جيشهم المعمار في ظل اتهام الجيش بالثأفية، ومساندة فوراً من اللبنانيين على الآخر، فكان ما كان من ثورة 1958، التي حسمت الوضع بمجيء قائد الجيش فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية، فاستبشر اللبنانيون خيراً حين قيل عن أنه أبو المشامسات، لكن تجاوزت المكتب الثاني «الخبايرت» اقتلعت عهده، لهذا لم يتمّ التجديد له أو التمديد، بحجة أنّ كلا الأمرين مخالف للقواعد البرلمانية.

في العام 1975 وبعد التمدّد الفلسطيني بسلاحه على الحدود اللبنانية بعد اتفاقية القاهرة، وحصول التجاوزات اللامعقولة من قبلهم على الساحة السورية، والكاتب يسلمون شبايهم متحصراً لليوم الموعد، لهذا انفجرت الثورة مجدّداً، هذه المرة لم تكن ثورة بندقية، فالسلاح المتطور بدأ يصبّ في الموائئ اللبنانية، ولبنان معس في نكسة بين يمين ويسار، ولّى أنّ أصبح لبنان على ما هو عليه في الفصحة الزائمة مزقاً ومشردماً طوائف ومذاهب وتيارات وحركات وأحزابا... والهدف واحد: كل يفشخ عن حصصه، أما السلاح الذي هو لكلّ الوطن، فلا حول ولا قوة، ممنوع عليه الاستعمال المتطور، ومنوع عليه أخذ السلاح المتطور المقدّم من إيران مجاناً وحتى فرنسا التي أمّدتنا السورية بـ3 مليارات دولار لتسليح الجيش بدأت بغرض شروطها، علماً أنّ الخطر محدق بالوطن من كل جانب.

انظري ما حدث في صيدا من الشيخ الأسير، الخارج على القانون وجماعته وداعية، وانظري ما يجري في جرود عرسال، نخسر ضباطا وجنودا ولا يرف لأحد جفن، حتى إعلان حالة الطوارئ ممنوع، وسلاح المقاومة العربي حزرت الوطن من رجس العدو الصهيوني وقدمت الشهداء، وما زالت تقدّم، فداعا عن الوطن من خطر الدواعش والعصابات الإرهابية، ما زال موضع خلاف أيضاً، فبيت «بو سياسة» كل يغني على ليلاه، فهذا الفريق هناك وذاك الفريق في قبائله في الطرف الآخر، صدان لا يلتقيان، وإنّ تحاورا فليس على الأمور الأساسية وأهمّها رئاسة الجمهورية، والوطن بينهما في حالة انهزام وضياح وانكسار وظلم ما بعده ظلم، والموطن يقهور ومربك لا حول له ولا قوة، يصفق لهذا، ويطرّب لذلك، من أجل تأمين لقمة العيش، أو وظيفة لولد، علماً أنّ الرواتب ضئيلة، والخزينة منهوبة، والفساد على عينك يا تاجر... فأنأ مثلا، يا صديقتي، لا يكفيني راتبتي لاسبوع، وأنا أحمل أعلى الشهادات، العديد من السادة النواب وحتى الوزراء لا يحلمونها، إلى جانب أنّ أفعالهم الطائفية والمذهبية هجّرت أبناءنا إلى بلاد الله الواسعة، صحيح أنهم من المبدعين في الخارج، وأنأناكم وعيبي من الأمهات فخورات بهم، لكنّ أنت أدري بخصوصي، في هذا القلب، كم يحمل من عاطفة للأنباء، إلى درجة أنّ الله منحنأ كامهات جنته التي وعد عباده بها، إنّ اتبعوا صراطه المستقيم.

نعم أنأ اليوم أريد طرح هويتي للبيع، وبالرمزاد العلني، خصوصاَ في هذا الظروف الذي يتمّ فيه منح الجنسية اللبنانية لمن يدفع المبالغ المرقومة من الأجانب والعرب، فالمقوعون لسوريون يستسيغون السكن في القصور التي تليق، بعد أن تعودوا سكتاهم، وهذا يلزّمهم بتوفير المال الآتي من قهر الناس وظلمهم وسرقة زيادات رواتبهم، والأرض أيضاً مباحة للبيع، ويشترها المتمولون اللبنانيون، في الوقت الذي يمنع على اللبناني الدخل بسهولة إلى بلادهم، لأنّ مبدأ المعاملة بالمثل غير وارد في سجلّاتهم، لهذا ما يحق لهم لا يحق لنا كلبنايين، وإنّ تمّ الاعتراض... فإنّ طرد اللبناني العامل في ديارهم أمر سهل وبسيط.

بعد كل هذا تسأليني واستغرب لماذا أطرح هويتي للبيع؟ أنا اليوم لا أملك سواها رأسمالاً يقيني حاجة العمر الباقي، لأنني متأكدة أنها ثروة قيمة، سأحزح على قرارها حصاً، لأنها جزء مني، من مراحل عمري، لكنّ ما باليد حيلة... هل لك بعد كل هذا أن تتعزني على موقعي؟ الوطن ليس لنا، فأنأ لست من الفئة الضالة، الفاسدة، الخائنة، والمعتزرة المتنبّذة، لهذا كله أطرح هويتي للبيع غير أسفة على وطن كان جزءاً مني وأنا جزء منه... وطن كان أبي وأمي وأجدادي وأحبائي، وهو اليوم حكراً لغة باعية... هل لقتنت؟ كما ألتصمت من جهتي أبلغ الكلام.

باحث في العلاقات الدولية